

## الفلسفة البراغماتية للديمقراطية

### A pragmatist philosophy of democracy

حيرش سمية<sup>1</sup>

heirechephilosophie82@gmail.com

<sup>1</sup> جامعة وهران 2 – الجزائر

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/12/24

تاريخ الإرسال: 2021/09/21

ملخص:

نلاحظ من الناحية الفلسفية، أن الطرح الإبستيمي لشروط المعرفة الموضوعية المتحققة في الديمقراطية بالنسبة لبراغماتية بورس، تختلف تماما عن إبستمولوجية التبرير الفلسفي لمسألة الديمقراطية بعد الثورة الفرنسية 1789، هل الديمقراطية يمكن تبريرها معرفيًا، إن تفسير فكرة التداولية في الديمقراطية من خلال التمييز بين المنظومة المعرفية التي تطرحها الرؤية الإبستيمية للديمقراطية في مقابل الرؤية الأخلاقية التي ظلت تحملها الديمقراطية منذ عقود من الزمن حول موضوع العدالة والمساواة، تمنح البراغماتية كمنظورية وكحقيقة عملية تصورا عاما لواقع الديمقراطية كما يتصورها مؤسسها شارل بورس، الحق في سلطة التمييز بين ما نقصده حين تقارب المنظورين بين المعنى الملموس لفلسفة التبرير المعرفي لمصطلح الديمقراطية ومفهوم الديمقراطية عموما من منظورها العام الأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: الديمقراطية؛ البراغماتية؛ شارل بورس؛ جون راولز؛ التحقق.

**Abstract:** From the philosophical approach, the epistemic hypotheses of the conditions for objective knowledge achieved in democracy in relation to Peirce pragmatism, is completely different from the epistemology of the philosophical justification of the question of democracy after the French Revolution of 1789. Presented by the epistemic vision of democracy in contrast to the ethical vision that democracy has carried for decades on the issue of justice and equality, pragmatism, as a theory and as a practical fact, gives a general perception of the reality of democracy as envisaged by its founder Charles Peirce

**Keywords:** democracy; pragmatism Charles Peirce; Rawls; justification.

## 1. مقدمة:

ربط شارل بورس إجرائية الحقيقة داخل الديمقراطية بالتداولية البراغماتية للاعتقاد وللشك من خلال استخدام الوظيفة المعرفية المستخلصة من تجريبي الشك والاعتقاد، لاستنتاج المعنى المستخلص بدوره من مثل هذه التجربة العملية للاعتقاد وللحقيقة، حيث اهتم بورس بالحقيقة البراغماتية، مفهوما ووسائل وغاية، خاصة من خلال كتابيه الأساسين: " تثبيت الاعتقاد" (1877) (The Fixation of Belief) "وكيف نجعل أفكارنا واضحة" (How to Make Our Ideas Clair?) 1878 وماهية البراغماتية (1904).

## 2. معايير الحقيقة البراغماتية داخل الديمقراطية:

## 1.2 المنهج البراغماتي والديمقراطية:

نلاحظ من الناحية الفلسفية، أن الطرح الإبستيمي لشروط المعرفة الموضوعية المتحققة في الديمقراطية بالنسبة لبراغماتية بورس، تختلف تماما عن ابستمولوجية التبرير الفلسفي لمسألة الديمقراطية بعد الثورة الفرنسية 1789، هل الديمقراطية يمكن تبريرها معرفيًا، إن تفسير فكرة التداولية في الديمقراطية من خلال التمييز بين المنظومة المعرفية التي طرحها الرؤية الإبستمية للديمقراطية في مقابل الرؤية الأخلاقية التي ظلت تحملها الديمقراطية منذ عقود من الزمن حول موضوع العدالة والمساواة، تمنح البراغماتية كمنظورية وكحقيقة عملية تصورا عاما لواقع الديمقراطية كما يتصورها مؤسسها شارل بورس، الحق في سلطة التمييز بين ما نقصده حين تقارب المنظورين بين المعنى الملموس لفلسفة التبرير المعرفي لمصطلح الديمقراطية ومفهوم الديمقراطية عموما من منظورها العام الأخلاقي.

يؤكد بورس أن الديمقراطية تمتلك أسباب معرفية مقنعة، تقدمها لنا نظرية المعرفة البورساوية للدفاع عن شرعية الديمقراطية، هي تشكل الوسيلة الوحيدة التي تمكن الناس من التمييز الأفضل بين المعتقدات الصحيحة والخاطئة وتبرير مثل هذه المعتقدات والحقائق موضوعيا، حيث أن الديمقراطية تبقى من خلال الحرية في التفكير الوسيلة الوحيدة الذي يجعلنا نبحث عن الطرق الكفيلة للتحقق من اعتقاداتنا فيما إذا كانت صحيحة أم خاطئة.

يرى الفيلسوف الفرنسي "بيير روزانفالون" أن الديمقراطية كنظرية وكفلسفة في الحكم لم تنضج بعد من الناحية الإستيمية والمعرفية وكذلك من الناحية التاريخية، ولم تكتمل كذلك من ناحية الوسائل العلمية المعبرة عن صحتها.

### 3. الديمقراطية والحقيقة البراغماتية

البراغماتية البورساوية منهج وأسلوب في التفكير وفلسفة في العمل والمعنى، يعتبر التجربة المخبرية (Le teste) التي تتوفر على شروط التحقق الفعلي (Vérification) معيارا موضوعيا لصدق الحقيقة والمعرفة البشرية (فردية كانت أو جماعية)، البراغماتية تحول الفكر إلى أداة مفسرة للواقع وهادفة إلى التكيف معه من خلال الوصول إلى توليد حقائق مؤقتة باعتبارها أدوات جديدة للتكيف الفعال هي مجموع الآثار الحسية الناتجة عن اعتقادنا العملية (Deledalle, G, 1983, 16)، عندما يعتبر بورس أن حقيقة شيء ما، هو الأثر الحسي أو المعنوي الذي يجسده المعنى المعبر عن الاعتقاد في الشيء الذي يدفع إلى السلوك والتصرف وفق ما يمليه هذا الاعتقاد، فالحقيقة ليست معطى جاهزا، بل هي خطة عمل ظرفية لأنها قابلة لأن تندثر وتموت في أية لحظة فاقدة لمصداقيتها، لتأخذ مكانها وتقوم مقامها حقيقة أو حقائق أخرى أكثر فاعلية وأثرا، والاعتقاد هو استعداد وتأهب دائم للعمل أو النشاط وفقا للاعتقاد الذي يعتبر هذا الأخير مادته الأولية، كل فكرة أو اعتقاد هو ما يبدأ الإنسان عنده بالفعل المجسد أو الاستعداد لمثل ذلك الفعل لأن الإنسان لا يؤمن بفكرة ما ولا يعتقد بصحتها إلى باستعداده للنشاط وفقا لها، للتعامل مع الواقع الخارجي الذي تتحقق في شكل نشاط وعمل، وليس اختزال مطلق للواقع نحو الفكر أو تطابق معه والعكس صحيح.

### 4. المعرفة البراغماتية والديمقراطية

إذا كانت المعرفة عبارة عن آراء وأفكار نكونها، أو نستخلصها، انطلاقا، من وعينا بذاتنا أولا، وبالواقع المتواجدين فيه بعد ذلك، وذلك عن طريق كل من الحس (Le sens) والإحساس (La sensation) والحس المشترك (Commun sens) فإنها أولا وقبل كل شيء أفكار هادفة إلى التعامل العملي مع ذلك الواقع، فإن المعرفة ليست مجرد تأمل ونظر، بل إنها قبل كل شيء نشاط وعمل (Gauchotte, P, 1992, 15).

و لأن الواقع بالنسبة لبيرس "هو كل ما يتفق الناس علي أنه كذلك"، فإن مثل ذلك الإدراك لهو من خلال شيء .. أو أشياء مكونة له، لا يلبث، وباعتباره إدراكا استقرائيا (Inductive) أن يدفعنا بالتالي إلي إصدار حكم، أو رأي (Opinion) حول صحة، أو عدم صحة ذلك الاعتقاد، أو الفكرة الأولية الافتراضية التي كونها عن ذلك الشيء أو الأشياء. المكونة أو المجسدة له.

لأن غاية المعرفة هي تحقيق الاعتقاد المريح سايكولوجيا والقويم بيولوجيا ،فإن التفكير بالضرورة سيتوقف عن حركته بمجرد وصوله إلى هذه الغاية وتحقيقه لها، فلا حركة للفكر بعد ذلك إلا من خلال حلقة جديدة من حلقات الشك ـ الاعتقاد، فالتفكير، إذن، يسعى دائما للهدوء، والاستقرار، للتوازن بهذه الصورة ينتهي بورس إلى إحدى الموضوعات الأساسية لفلسفة هيربرت سبنسر والتي تقول بالحركة نحو التوازن كقانون عام للوجود. (نمير العاني، 1980، 187)

فصفة المعرفة عند بورس ليس الإدراك، بل الحث على المبادرة والفعل، والواقع إن مثل هذا الفهم لطبيعة ووظيفة العملية المعرفية بصورة عامة والعملية التفكيرية بشكل خاص هو الذي دعم الديمقراطية الأمريكية. (نمير العاني، 1980، 187).

و النتيجة الطبيعية للاعتقاد، المتولد عن الحقيقة الذاتية والموضوعية علي حد سواء هي اليقين، الذي يمثل الحل الوحيد للشكو لانعدام التوازن النفسي والعقلي المتولد عنه. بذلك يتبين ارتباط كل من الشكو من الاعتقاد، بكل من الحقيقة و من اليقين اللذان يعدان الشرطان الأساسيان لكل معرفة عامة و لكل معرفة فلسفية بصورة خاصة.

ولأن الشك كذلك فإن حله الحقيقيو الموضوعي لا يكون في البداية عن طريق الاعتقاد (Croyance / Belief)، الذي يعني "التسليم المبدئي باقتناع العقل بصحة الأشياء كما يتصورها، بل عن طريق الحقيقة المؤدية إلى كل اعتقاد، وذلك لسبب بسيط وهو أنه ليس صحيحا أن كل ما نعتقد هو حقيقي، فقد نعتقد فيما هو خطأ كما قد نعتقد فيما هو صواب ،و ذلك ما تؤكده بعض الاعتقادات الخاطئة".

بحيث أن الديمقراطية في أمريكا، هي أسلوب للحياة الاجتماعية ( Morton, W,1963, 80)، الفردية والجماعية منها وطريقة للعيش في الولايات المتحدة الأمريكية (الديمقراطية المبدعة) كما سماها "جون ديوي" في كتابه " الديمقراطية والتربية" أكثر

منها نظام حكم ومؤسسات دولة.

يحول بورس الحقيقة إلى مجرد وسيلة، حيث أن الحقيقة لا يمكن أن تؤلف في تصور بورس إلا اعتقاداً ذاتياً صرفاً فهي لا تمتلك أية دلالات أو مضامين موضوعية. إن الإنسان بهو من خلالها لا يتفاعل مع العالم الخارجي، بل يدخل في علاقة مع نفسه بالذات، بهذه الصورة يسقط الأساس الموضوعي للحقيقة، إن ما يميز الاعتقاد \_ الحقيقة عن سواه يتلخص حسب تصورات بورس في نجاحه العملي، أي في التحقق الفعلي، فمعيار الحقيقة يتلخص، إذن، في النتائج لعملية لها، هذا يعني أن الحقيقة لا يمكن أن تخرج عن حدود الاعتقاد البراغماتي وبناء على هذا فإن الفكرة تتحول إلى حقيقة في المعنى البيروسوي عندما تعمل أي عندما تؤدي الغرض العملي المنشود منها. إن بورس يفصح عن موقفه هذا بصراحة تامة في مؤلفه "المصادفة، الحب، المنطق" عندما يؤكد أن "الحقيقة تتلخص في المنفعة المستقبلية لأهدافنا". (نمير العاني ص189)

وهكذا فإن الوعي الإنساني لا يمكن أن يظهر ويتحقق في المنظور البيروسوي إلا في حالتي الشك والإعتقاد، وبناء على ذلك فإن نشاطه من خلال منهج التحقق الفردي فضلاً عن الجماعي التي تتم بواسطة عملية ترسيخ الاعتقاد وتثبيتته، إما داخل الفرد أو المجتمع (الدولة) التي تنتهي بتوليد الاعتقاد والتمسك به من خلال الحرص على الاتفاق العام، مثلما أشار إلى هذه الفكرة "جون راولز" في مؤلفه "الليبرالية السياسية"، وهو الاتفاق العام الذي يخلد إليه المجتمع فضلاً عن الدولة أو الفرد حول البحث عن تفسير جديد للمعنى وإضافته على الواقع الذي يشكل ثبات الحقيقة داخل المجتمع واندثارها زمنياً، أما بواسطة منهج الإصرار والدأب أو النفوذ الموثوق أو الأبريوري، بالإضافة إلى المنهج العلمي الذي يوصف بثبات حقائقه أطول مدة ممكنة.

يعتبر الاعتماد على التجربة والتحقق معياراً لصدق الحقائق بهدف الحصول على معنى لها بالانتقال دائماً بين مظاهر الاعتقاد والشك اللذان يعتبران مغزيان للحقيقة البراغماتية وللديمقراطية الأمريكية ومحركان لها، مرتبط بإدراكنا للعالم الخارجي نتاج لحركة الحقيقة التي تبقى التجربة المعبرة الوحيدة عن صدقها بتجديد المعرفة وتطورها الناتجة عن تغير السلوك الوظيفي للمعتقد،

بالرغم من أن الحقيقة بالنسبة لبورس تخضع لشروط الموضوعية العلمية مثل التحقق عن طريق التجربة الحسية، فإن الأفكار والاعتقادات التي تشكل موضوعاً

معرفيا للتعامل يجب أن تخضع في الواقع لنفس المعايير التجريبية التي تخضع لها الحقيقة العلمية

تعتبر البراغماتية انها قد نجحت في تجديد الفلسفة من خلال علمتها هو ان تجمع بين الفياييلزم الي يعني الابتعاد عن النزعة الشكية، حيث أن المعرفة التجريبية التي تعتبر معيارا لصدق موضوعية الحقيقة العلمية داخل المنهج العلمي وبالرغم من مطابقتها للواقع تظل حقيقتها غير مطلقة وغير ثابتة أو سكونية وقابلة لأن تنفي من قبل حقائق جديدة في المستقبلو ذلك يعني أن الحقيقة التي يؤدي إليها هذا المنهج تظل متصفة دومها باللاوثوق، أي أنها حقائق تظل قابلة لأن تنفي من طرف حقيقة جديدة (Tiercelin, c, 1993, 10).

إن الفضاء التداولي للحقيقة البراغماتية داخل الديمقراطية التنافسية يتلخص بدوره في استعمال المعرفة لتوفير الشروط العملية الضرورية بتوفير بيئة جديدة لتحقيق مفعول الاعتقاد لتحقيق فكرة التعددية الديمقراطية كمثال عوامل التجربة والفاعلية والخبرة التي تترجم القيمة الفورية لصدق الحقائق والإيمان بمفعولها.

بذلك تعتبر البراغماتية في أمريكا الوسيلة الصحيحة والعلمية الآمنة للتعبير عن الديمقراطية الحقيقية الفاعلة من خلال مظاهر الحقيقة التعددية، الفكرية منها والعلمية والدينية والثقافية كذلك، وذلك لأن السياسة بشكل عام، تبقى حقيقة أخلاقية مجردة غير قابلة للتحقق في جوهرها، وليست علمية مؤكدة وذلك لاستحالة امتلاكها لوسائل شروط التحقق كمثال التجربة بالنسبة للعلوم أو الحقيقة العلمية، فالسياسة تفتقر لشروط الموضوعية والعلمية والتحقق مثل الحقيقة العلمية، كما يرى بورس على عكس الحقيقة العلمية التي تخضع لشروط الواقع والتجربة والموضوعية وإتفاق العام، فإن البراغماتية تبقى المنهج الوحيد الذي يحيي الديمقراطية ويبعد عنها لغو فوضى الكلام ويتعد بها عن الخيال والجمود والدوغمائية والكلام الفاقد للمصداقية وذلك بالبحث عن المعنى داخل الحقيقة.

هذا المعنى الذي يتولد بمجرد التحقق منه عن طريق الخبرة أو الفحص والبحث . فالحقيقة هي الضامنة الوحيدة لاستمرار بقاء الديمقراطية كما يقول بورس، حاول بورس ان يجد معايير الإثبات للأثر المتولد عن المعنى الذي تسمح الحقيقة بتوليده فإن هذه الوظيفة التوليدية للمعنى المادي أو المعنوي الذي يولده الأثر أوالواقع الجديد

بمجرد حصوله على الاعتقاد المفضي الى ترسخه الى عادة ذهنية، هي الغاية المنشودة للديمقراطية التي تترجم كونها، كل ما تتحقق في شكل توليد حقائق متجددة لتتحول هذه الأخيرة إلى وسيلة أو عادة جديدة للتكيف مع الواقع، من خلال السلوك التواصل للأفراد عن طريق التشاور الذي يظهر من خلال خلق مجتمع يسوده النقاش والتنافس، الديمقراطية هي التي توفر البيئة الحية لتوليد أكبر نسبة من الحقائق المتجددة، الممكنة والتي تتوفر فيها شروط الحياة الديمقراطية، ليست الحقيقة قبلية أو مطلقة، بل هي متطورة تساعدنا على التكيف الخارجي مع العالم هي نتيجة خبرتنا العلمية التي تتعلق بتصوراتنا وأفكارنا وإدراكنا لهذا العالم

#### 4. نظرية راولز في تحقيق العدالة التوزيعية والتحقق منها:

يتفق جون راولز مع فكرة بورس، من خلال تجاوزه الرؤية الواقعية التقليدية للديمقراطية حول العدالة وينتقل بها من جاهزية المفهوم النفعي للعدل إلى قابلية استعمالها العملية الإجرائية للإجابة حول إشكالية التبرير البراغماتي والتداولي للعدالة داخل السياق العمومي، حيث أن العدالة تبقى متحققة.

إلا أن العدالة بالنسبة لجون راولز، لا تعني المساواة في حق الإختلاف وإنما الاتفاق حول إيجاد معايير عقلانية ومعنى موحد تجمع بين هذا الاختلاف وتجعل كل اختلاف متفق عليه بشكل عقلائي، هذا الاتفاق هو الذي يأخذ شكل الإطار المؤسساتي التشريعي العام. الليبرالية تحاول أن تجعل من النفعية حقيقة العدالة وتولي للمصلحة الفردية أهمية قصوى في تفسير العدالة بأن تمتص هذا الاختلاف في شكل المساواة بين نفعية الأفراد، ومشروطة من خلال عملية التداول العمومي للقرارات السياسية بين المواطنين (Rawls, J, 1971, 60).

حيث يعتمد جون راولز في تحديده لمعنى العدالة من خلال التركيز على منهج التحقق بالعودة بفرضية المساواتية إلى معناها الأصلي والتأسيس لفكرة العدالة، التي تعني عند راولز بأولوية الخير على النفع يقصد في معناه من الناحية الفكرية معاشية جميع التصورات المختلفة المتعلقة بالخير، لهذا السبب يجب أن يعتمد مفهوم الخير على عملية مجردة، حيث تعتمد على مفهوم البنية الأصلية للمجتمع أو الوضع الأصلي، يولي "يورغن هابرماس" و "جون راولز" اهتماما لإجراء عملية الاتفاق السياسي حول مشروع عقلنة المذاهب الدينية doctrine raisonnable كجانب من جوانب العقل العام

raison publique، محولا راولز فكرة كانط حول نقل الدين من مجالات الميتافيزيقا إلى مجال العقل العمومي. مثلما ذهب شارل بورس حينما أشار إلى الخبرة باعتبارها نتيجة طبيعية للتحقق من اعتقاداتنا.

يؤسس راولز في نظريته للعدالة كإنصاف (équité) (fenness) التي سيحولها إلى آلة هجوم ضد المساواة بالمفهوم الهوبزي للليبرالية النفعية معرضا لنهاية هذه الفكرة للتأسيس على أنقاضها فكرة جديدة تأخذ مكانا إيجابيا يفيد بعودة الأفراد إلى طبيعتهم الأولى متخلين عن ما يجعلهم مختلفين متميزين (différenciation) بسبب انتماءاتهم واعتقاداتهم عن الآخرين، هي مساواة الوضع الأصلي، المرحلة الصفريّة للأفراد "ليبرالية أخلاق الواجب" كما يسميها مايكل سندل .

من خلال التخلي مبدئيا عن فروقاتهم الطبقية وامتيازاتهم الاقتصادية واختلافاتهم الدينية والسياسية والفلسفية للدخول في عملية الاتفاق العام الذي يتحقق من خلال العقل العام من حيث التبرير التعاقدي للعدالة كحالة من الإنصاف الطبيعي تشبه حالة المساواة الطبيعية التي أشار إليها كل من جاك روسو وجون لوك، حيث أن كل شخص يمتلك حرمة تستند في تفسيرها إلى العدالة التي حتى باسم رفاهية المجتمع بأسره، لا يمكن انتهاكها

### النتائج ومناقشتها:

إن الحقيقة، أيا كان موضوعها، بما فيها تلك التي يتوصل إليها عن طريق المنهج العلمي، لا وجود لها إلا بالإنسان، (المكون من العقل ومن العاطفة)، ومن أجله، وهي ليست بالتالي مطلقة أو نهائية أو، وذلك لسبب بسيط، وهي أنها متولدة، عن شك ومن اعتقاد ذاتيين ومرتبطين بتلبية حاجتنا، الفردية، قبل كل شيء، وهي الحاجات التي تضيف أنها تعمل علي إشباعها بشكل صدفي وعشوائي. ولا تنفع أن تكون معيارا ثابتا للديمقراطية والعدالة.

إن مثل هذه الخاصية الذاتية، وغير الموضوعية للحقيقة ولوسائلها هي التي تجعلنا نأخذ بعين الاعتبار، لا فحسب، دور المنهج العلمي في الوصول إلى الحقيقة، بل ودور الصدفة والاحتمال، في الوصول إلى الحقيقة التي يقول عنها أنها تتلخص في المنفعة المستقبلية لأهدافنا

من هنا تأكيد "بورس" علي أن أي قانون و"أية حقيقة" إنما هو وليد الصدفة والعشوائية

من هنا خطأ، ما اعتبره البعض تجاوزاً، نهائياً، للفكر البورسوي من خلال المنهج العلمي "للحدس الكانطي" برفضه، في النهاية، لحتمية العلمية المطلقة، معنوية كانت أو مادية، علي حد سواء.

ومن هنا كذلك لجوء "بورس" نتيجة لأخذه بهذا المنهج، للحدس الكانطي إلي ما أسماه "بالاحتمالية الحقيقية"، وهو الذي يعني به أن كل الأحكام العلمية افتراضية، وليست بالضرورة صائبة أو صادقة من هنا فإن كل معارفنا تسبح، وكما يضيف، في "اللاوثوق" والغموض.

### الخاتمة:

إن الفاعلية ليست معيار حقيقياً للمؤسسات الديمقراطية والمنظومات القانونية، حيث أن التبرير السياسي ينتهي بمدى إنصافه وليس نفعيته كما يرى رولز، فإن العدالة، تصبح هي الحقيقة الأولية للمؤسسات والقوانين وبأسبقية الإيمان بالخير وليس المنفعة الفاعلية كما يقول بورس.

### المراجع:

1. Deledalle Gérard : La Philosophie Américaine .(1983) .Lausanne :L'âge d'homme.
2. Gauchotte Pierre .(1992) .Le pragmatisme, Que Sais- Je .Paris :PUF.
3. Morton (W .(1963) .(La pensée sociale en Amérique) . Trad, M. Levi Paris: PUF.
4. Théorie de la justice .(1971 ) .Théorie de la justice .Paris :Du Seuil.
5. Tiercelin (C .(1993) .(Ch. Peirce et le Pragmatisme .Paris : PUF.
6. نير العاني بيروت، العدد السادس، . (1980). حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البراغماتية. مجلة الطريق.